سؤال الزمان في علاقته بتزمّن الزمانية عند هيدغر

The question of time in relation to the temporal time by Heidegger

إيناس كريبش
inesskribech@gmail.com
د.عبد المجيد دهوم
Adahoum03@yahoo.fr
جامعة الجزائر 02

تاريخ الاستلام: 2019/12/15 تاريخ القبول: 2020/10/24

ملخص:
يعد البحث في مسألة الزمان بأبعاده المختلفة من المواضيع الأساسية التي شغلت الكثير من الفلاسفة ،فلا نكاد نتناول موضوعا من مواضيع البحث العلمي أو الفلسفي إلا و فكرة الزمان ترافقه في شتى مراحل تفكيره،و بغض النظر عن التعريفات العديدة التي اقترنت بالموضوع،يبقى البحث فيه وعنه جاري المفعول في تاريخ الفكر عامة،و في فكر "مارتن هيدغر" خاصة، الذي ربطه بالكينونة والوجود.و تبعا لذلك يكون تفسير الزمان مرهونا بتفسير الوجود والعكس صحيح.ضمن هذه الوجهة يحدّد هيدغر بنية "الزمانية" في علاقتها بـ"التزمّن"،ذلك أن مصطلح "التزمين" سينكشف مع هيدغر – كما سنرى- من حيث هو "طريقة" وجودية لكل وجود.و عليه، يقوم تساؤلنا في هذا المقام على طريقة تفكير هيدغر في سؤال "الزمان" من حيث هو الأساس في تفسير "الزمانية" و في خضم ذلك ينكشف المعنى الأصيل للتزمّن الخاص بنمط كل حياة،و كل وجود بما في ذلك كينونة الموجود داخل العالم.

الكلمات المفتاحية: الزمان، الكينونة،الوجود،الزمانية،التزمّن

Summary :

The inquiry of the time has ever been a question of debate that occupied many philosophers in an elaboration of the concept, tremendous philosophical and scientific studies addressed topics that had a relevance the concept of the time. This idea,to same extent was manifested in the various stages of the research. Regardless the notions that were given to the essence of time, still the investigation are in progress, generally in accordance to the history of thought, and in particular from the perspective of Heidegger who associate it the "Being" and "Existence". On this basis ,the exegesis of the time is likely to depend on the explanation of the "Existence" and vice versa. In this context ,Heidegger determines the structure of the temporality in relation to the time, As well as will examine the mode of existentialism to every being. In the midst of this, we posit the query on the way of Heidegger's thoughts as they are revealed in the question of time.
Keywords: time, existence,temporality

المؤلف المرسل: إيناس كريبش، الإيميل: inesskribech@gmail.com

مقدمة:

يعتبر موضوع الزمان من الدراسات الأساسية التي ترتبط بالإنسان و انفتاحه على الموجود في العالم ،إلا أن المتأمل في الموضوع سيصطدم بتلك المحاولات التقليدية التي استشكلته من ناحيته الفيزيقية،وحصرته في معنى "الآن" أو "اللحظة"،مما جعل سؤال الزمان مربوطا بقيد الحاضر الذي يكشف عن الماضي من حيث هو لحظة عابرة تسير نحو المستقبل.و سواء رجع الإنسان إلى الماضي أو سار نحو المستقبل ،يبقى الحاضر بين ما كان و ما سيكون،بين إمكانات محققة وغير محققة،و بين ما لم يتم تحقيقه بعد ،و في كلتا الحالتين نتساءل عن موقع الإنسان داخل الوجود و حيّزه الزماني فيه. ضمن هذا المسار حاول هيدغر(Heidegger) مجاوزة اللغة الميتافيزيقية -الموجودة داخل قوافل الفكر القديم- وتأويل الزمان بدلالة الوجود ،حيث إنفتاحة الدازاين على

العالم تزمّناً(Zeitigung)،لتكون الزمانية(Zeitlichkeit)الخاصة به بمثابة قفزة أنطولوجية مشروعة بموجبها يصمّم "الموجود-هناك" على استباق وجوده بما هو موجود-نحو-المستقبل..فهل سيفلح هيدغر في تأويله للزمان بدلالة الوجود ؟وما علاقة الزمانية باالدازاين؟ وكيف استعاد هيدغر مسألة التزمّن في تخريجه لسؤال الزمان؟

من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات،تتبّعنا المنهج التحليلي الذي سمح لنا بداية من العودة إلى تاريخ الفكر الغربي منذ أرسطو (Aristote)إلى هوسرل(Husserl)،و منه الانتقال من المفهوم الميتافيزيقي للزمان إلى المفهوم الأنطولوجي الذي ارتبط بالوجود مع هيدغر.فكان بذلك الهدف الأساسي في تبيان سؤال الزمان هو ارتباطه بالوجود،خاصة الوجود الإنساني (الدازاين) حيث انفتاحة الدازاين على العالم تزمّنا.

1.فهم الزمان بدلالة فهم الوجود:

يقوم فكر هيدغر أساسا على نقد تاريخ الفلسفة الغربية منذ نشأتها الإغريقية التي غالت من إعلائها للموجود ،وتقسيمها للعالم إلى عالمين (عالم الطبيعة و الكون[*]أو الفيزيقا،وعالم ما بعد الطبيعة أو الميتافيزيقا)،فوجد الكائن نفسه باحثا عن أي منهما أهدى للوصول إلى الحقيقة؟ في خضم ذلك يختار هيدغر طريق التقويض[**]،و الالتفات إلى طرح سؤال الوجود بطريقة مستحدثة يكون فيها الدازاين(Dasein)،الموجود-هناك هو الكائن الوحيد المتميّز الذي يملك سلطة القول والفعل، يقول هيدغر: ((إن ما هو أكثر أصالة من الإنسان هو الدازاين نفسه))[1]

يقودنا الطريق الهادي لمفهوم تجاوز اللغة الميتافيزيقية من جهة أخرى،إلى تتبّع علاقة سؤال الوجود بسؤال الزمان ،فما معنى أن يوجد الزمان في فكر هيدغر؟ و بالتالي نحاول أن نغوص في تأويلية الزمان بدلالة الوجود،وهذا ما لا يتسنى لنا إلا إذا استحضرنا المفهوم الميتافيزيقي الذي هدف هيدغر إلى تخطيه

و مجاوزته، و عليه ((فإن الوجهة الجديدة للفكر بما هي "الوجود والزمان" ،لا يعني إضافة أطروحة جديدة عن الوجود، إنه لا يعني مواصلة للميتافيزيقا بقدر ما يعني الاختلاف عنها من خلال استنطاق هذا المؤشر الفاضح لها،والصامت ضمنها :الزمان.))[2]

ارتبط مفهوم الزمان عند الفلاسفة السابقين بـ"الآن" أي اللحظة الحاضرة التي تصير ماضياً كلما تحرّك الزمان إلى الأمام،وهذا ما أكّده أرسطو قديما من خلال عنصر الحركة،حيث أن كل تغيّر مرتبط بعدد الحركات التي يعدّها الزمان ،يقول أرسطو :((في الزمن يحدث التوالد،الفساد،و التزايد،إنه في الزمن كذلك،هناك التغيّر،و التحوّل بالمقاييس التي تكون فيها حركة،هناك عدد لكل من هذه الحركات،و لهذا فالزمن هو عدد الحركة.))[3]وفي العصر الحديث،حرص "ديكارت" من جهته على إبقاء الفكرة الأفلاطونية القائلة بأن ما يهم في الزمان ليس تعاقب اللحظات بل هو شيء خارج الزمان. [4]و بذلك يواصل ديكارت تصحيح الزمان الأرسطي كونه ملازما للحركة،إلى صفة الإمتداد التي تحافظ على ماهية المادة رغم التغيرات الحاصلة،ويستدل ديكارت على ذلك بقطعة الشمع التي تختص بصفات جوهرية ثابتة ،فما نعرفه عنها ((ليس لونها،ولا شكلها ولا رائحتها ولا مقاومتها،بل هو امتدادها))[5]

يتحدّد مفهوم الزمان في الميتافيزيقا الكلاسيكية ضمن مفهومه الفيزيقي الذي لا يخرج عن الحركة و الامتداد ، بالمقابل يُعبّر الزمان – في نظر هيدغر- عن الحاضر الذي يكشف عن "ماكان"،وهو الماضي و عدم الحاضر ،الذي يكشف عمّا سيكون و هو المستقبل،و بذلك تكون الفسحة الموجودة بين الماضي والمستقبل هي المعنى الزماني للوجود حيث يكون ((الزمان الحقيقي ليس قيساً للآنات، ولكنّه تبعيد الأبعاد الزمانية ،أي منحها الوجود الذي نلتقي به وجودًا لما كان ،أو وجودًا لما هو آت.و

لكن ما نقصـده في "وجـود ما كان" و" وجـود ما ليس بعد" ليس وجـودهما الحاضـر ،بل كحضـورهما إلينا كعدم حاضريـة، بهذا المعنى يكـون الزمـان خلـوة الوجـود بما هـو وجـود الحاضـر ،و وجـود عدم الحاضـر الذي هو الماضي ،و وجـود عدم الحاضـر الذي هو المستقبـل.))[6]

لا يـرمي هيدغر من تبيـان الزمان إلى الكشـف عن انفصال آناته بقدر ما يريد أن يبيّن التحام الزمان بالوجود ،بحيث لا يقـوم الثـاني دون الأول و العكـس صحيـح.و هذا ما يؤكـده بقـوله : ((إننـا لا نسـأل الكينـونـة وحدهـا و لا الزمـان لوحـده ،فنحـن لا نستعلـم أبـداً عن الكينـونـة و لا عن الزمـان،لكننـا على العكـس ،نستعلـم عن علاقتـهما المتداخـلة والحميـمة و مـا ينبثـق عنهـا.))[7]وهو ما يحيلنا إلى كانط(Kant) الذي ميّز بيـن نـوعـيـن من الزمـان:الزمان الميتافيزيقي الذي يُفهم كـ((معطى قبـلي،وفيـه وحـده يكـون تحقّـق الظاهرات ممكنا،ويمكن لهذه أن تختفي كلّها معاً.أما هـو نفسـه{بوصفـه شـرط إمكانـها العـام} فلا يمكـن أن يُلغـى))[8] وفي النـوع الثـاني،الترنسندنتـالي ،لا يكـون الزمـان موجـودا في ذاتـه ،بـل إن((الزمـان ليـس سـوى صـورة الحـس الباطن،أي صـورة حدسنـا لذاتنـا و لحالتنـا الباطنـة.ذلك أن الزمـان لا يمكنـه أن يكـون تعيّنـاً للظاهـرات الخارجيـة،فهـو لا ينتـمي لا إلى الهيئـة،و لا إلى موقـع،بـل يعيـّن على العكـس علاقـة التصـورات بحالتنـا الباطنـة.))[9] فالتحليل الكانطي هنا يحيل إلى إدراك الزمـان على أنه وحـدة أصيلـة مرتبطة بالـذات ارتبـاطاً ضروريـاً ، فلا وجود للزمان خارج الذهن ،وخارج واقعه الوجودي المرتبط بتطبيقه على الظواهر،و هو ما يؤكده بقوله:((إن جميع الظاهـرات بعامة ،أي كل موضوعـات الحـواس هي في الزمـان ،و تخضع بالضـرورة لعلاقـات الزمـان...فالزمـان ليس سـوى الشـرط الذاتي لحدسنـا(البشري) الذي هو دائمـاً حسـي ،أي الذي لا يكـون إلاّ من حيث نتـأثـر

(بالموضوعات) ،و هو في ذاته لاشيء خارج الذات))[10] و هو ما يعني أن الزمان الكانطي مرتبط بالحس الداخلي للموجود (زمانية الذات).

افترض كانط من أجل فهم علاقة الوجود بالزمان وجود عالمين متمايزين لا يقوم أحدهما دون الآخر ،فمن جهة نجد الوجود في ذاته Nomène ،و من جهة أخرى هناك الظاهرة ،حيث يكون وجود الموجود متضمناً ،بصفة قبلية سابقة عن إدراكه للموضوعات الموجودة في العالم،و هذا ما يبيّنه فعل التأليف الكانطي الذي يستعين بدوره بالتخيّل الذي هو حركة - باتجاه - المستقبل ،يقول هيدغر: ((إن التأليف المحض يجب أن يوحّد قبلياً فما يوحّده إذن يجب أن يُعطى قبلياً...إن التخيل المحض يجب أن يرتبط جوهريا بالزمان وهكذا فقط نكشف أن الخيال يقوم كواسطة بين الإدراك المتعالي و الزمان.)) [11] بمعنى أن الخيال هو ما ينسج الفهم القبلي الذي يُنتَج عفوياً من تزمّن الدازاين ،في حين يكون الإدراك بمثابة المقيّم لذاك الفهم في الواقع.لكن التخيل المتعالي بما هو شرط التأليف ،و بالتالي شرط المعرفة ، سيوقع كانط – في النهاية - في شباك التصورات الميتافيزيقية التي تُعنى بالموجود،((فالخيال المتعالي - كما يقول غادامير - هو القدرة المحيّرة التي تحملها الروح الإنسانية،و التي يتعاون فيها الحدس،والفهم،و التلقي،و العفوية،إن هذا الخيال أتاح لهيدغر أن يؤوّل فلسفة كانط كميتافيزيقا المتناهي.))[12] وبالرغم مما كان لكانط من دور في تهيئة الأساس الأولي لتحليل الزمان، فيبقى الزمان بحاجة إلى تأويل،فهو لا يتعلق ببراديغم الذات و الوعي،وإنما بالتجربة الأساسية للزمانية بما هي مسألة الحياة الواقعية التي لا بد للموجود الزماني من توجيه اهتمامه ضمنها.فكيف أخرج هيدغر مسألة الزمانية بوصفها مسألة أساسية في الوجود الدازايني؟وما علاقتها بالزمان؟

2.الزمانية و التاريخانيّة(***) :

يـواصـل هيدغر التفكيـر في علاقـة الزمـان بالوجود ،لكـن هذه المرة في علاقـته مع التاريـخ،فبقدر عودة التاريخي بأحداثه إلى الماضي،مستنجدا بالزمان للمحافظة على تسلسل وترابط "ما كان" ،فإن الزماني بدوره يتخذ من التاريخ طريقا للانتقال من لحظة الحاضر الذي يكون ماضيا بالنسبة للمستقبل،و لحظة المستقبل الذي كان حاضرا لا محالة،بل إن وجـود الكائـن البشـري تاريـخيـاً لا يكـون إلا لكونـه كائنـاً زمانيـاً ،فبين التاريخ و الزمان أو بين الكائن التاريخي و الكائن الزماني صلة وثيقة تكشف عن الزمانية التي تخص الدازاين وحده ،يقول هيدغر: ((يسعى تحليل تاريخانيّة الدازاين إلى أن يبيّن أن هذا الكائن ليس "زمانياً"،من أجل أنّه "يقف في التاريخ"بل على العكس من ذلك أنّه لا يوجد و لا يستطيع أن يوجد على نحو تاريخاني إلاّ من أجل أنّه في أساس كينونته هو يكون على نحو زماني))[13] وهـو ما يبيّـن بدوره أن زمانيّة الكائـن لا تتعلـق بالمكانـة التي يحتلهـا ذلك الكائـن في التاريـخ ،وإنّما بسبب أنـه زمـاني.الأمـر الذي سينتهي بهيدغر إلى تشكيـل معـالـم فلسفتـه الأولى في التاريخ على إثر تلك البذرة الواثبة بين ثنايا فلسفة هيجل الذي أراد الكشـف عن الزمان من خلال تاريخ وجوده بالزمان إلى تاريخه،و بشهادة هيدغر يكـون ((هيجل هو المفكـر الغـربي الوحيـد الذي كـان يعنيـه تاريـخ الفكـر))[14] لكن السؤال الذي يطرح نفسـه في هـذا المقام هـو:كيف ربـط هيجل التاريخ بـالزمان و الوجود،و ما مدى تـأثير ذلك على فكـر هيدغـر ؟

لقد دأب اليونـان-كما سبق ذكـره- على تصـور الزمـان انطلاقـاً من "الآن"أو " اللحظة" ،إلا أنّـه أصبح مع هيجل مرتبطـا بـالغايـة التي من أجلهـا يكـون الإنسـان واعيـاً لوجـوده،بل لا وجـود للزمـان مـا لـم يكـن هنـاك تاريـخ يُعنى بـالوجـود الإنسـاني.فهيجل حاول أن يفكّـر في الوجـود من خلال مفهومه عن"السـلبي" ،و هـو مـا لا يتـوضح إلا داخـل الحركـة التاريخية للـروح ،يـقـول هيجل في هذا المقـام: ((الـروح هو تـلك القـدرة مـا تمـلّى السلبي و دام مقامـه

فيه، و هذا المقام إنّما هو القدرة السحرية التي تقلب السلبي إلى كينونة.))[15]

لا يتصور هيجل التاريخ على أنّه ذلك التاريخ الذي يُعنى بمجموع الوقائع و الأحداث الحاصلة في الماضي ،حيث يتحرك التاريخ معه وفق منهج جدلي، يفرّق بموجبه بين القضية ونقيضها و المركب منهما،أي الصيرورة، وهو على إثر ذلك يبيّن أنّه، و كيف أنّه في الصيرورة يكمن كل تاريخ و كل وجود،بحيث يكون الوعي الذي يتوسطهما هو المفهوم الذي يقود إلى التفكير في الزمان من حيث هو السلب في حدّ ذاته،يقول هيدغر: ((الزمان هو السلبيّة "المجرّدة" ومن حيث هو "صيرورة محدوسة" ،هو الاختلاف المتباين عن ذاته...الذي "يكون هناك" ،نعني التصوّر القائم برأسه،و بما هو شيء قائم و من ثمّ خارجي عن الروح، فإنه ليس للزمان أيّ سلطان على التصوّر بل التصوّر "هو على الأرجح سلطان الزمان".))[16]

إن علاقة التاريخ بالزمان والروح من حيث هي سلب السلب –حسب هيجل- يكمن في ماهيّتها ،يقول في هذا الشأن :((إذا كان هذا السلبي يظهرُ حينئذ في مبتدئ الأمر كلا تساوي(****) الأنا مع موضوعه،فإنه كذلك لا تساوي الجوهر مع ذاته،و الذي ظاهره أنّه حادث خارج الجوهر...و متى يكون الجوهر قد أتمّ إظهار ذلك ، فإن الروح يكون قد جعل من كيانه كفء ماهيته،فالروح إنّما يكون لنفسه بما هو كذلك موضوعا...و الكينونة إنّما قد تُوُسّطت على الإطلاق-إنها المضمون الجوهري الذي هو في- الحال ملك الأنا،و الهُوَويُّ Selbstisch أو هو المفهوم.))[17] وهو الطرح الذي وضحته الفقرة (82) من كتاب"1927" حيث تظهر علاقة الدازاين الزمانية- من حيث هي علاقة أنطولوجية- بزمان العالم الذي يُظهر علاقة الروح بالزمان كما هي عند هيجل،لينتهي هيدغر إلى القول : ((إن الروح لا يسقط أولا في الزمان ،بل هو يوجد بوصفه تزمّنا أصليّا للزمانيّة،و إن هذه إنّما تُزمّن زمان

العـالم الذي في أفـقـه يستطيع "التاريخ" أن "يظّاهَر" بوصفه حدثاناً داخل-الزمان))[18]

يـريـد هيدغر - في نهاية المطاف -أن يجعـل سـؤال الزمـان متماشياً جنباً إلى جنب مع سـؤال الوجود ،ليتحوّل بذلك السـؤال التقليـدي مع أرسطو ما هو الإنسـان؟ إلى سـؤال فنومينولـوجي،لكن بمعنى مغـاير لسـؤال الفنومينـولـوجيا الهوسرلية الذي يحمل قصدية بين الوعي و موضوعه ، حيث يعترف هيدغر: ((إنه يُحتاج إلى تفسير أصلي للزمان بوصفه أفقاً لفهم الكينونة انطلاقا من الزمانيّة بوصفها كينونة الدازاين الفاهم للكينونة.))[19] ومع ذلك، يبقى مفهوم الزمان مرهونا بموقع الدازاين داخل الوجود التاريخي ،وهو استدعى الوقوف عند "الزمانية" التي ستعبّر عن وقفة الدازاين النهائية داخل "اليوميّة" بوصفه كائناً متناهياً.

3 .الـزمانيّة وتـزمّن الدازايـن:

يقترن مصطلح الزمانية عند هيدغر بالتزمّن و لأنه ينظر للزمان على أنّه تزمّن ،((فإنمّا يفتح للعيان إمكانية تزمّن جوهرية للزمانيّة،و معها يتهيّأ الفهمُ من أجل تزمّن أكثر أصليّة للزمانيّة.))[20] وعليه ،فلا يمكننا القول إن الإنسـان كائن زماني بل يجب علينا أن نقول إنه كائن متزمّن،و انطلاقاً من الزمانية -التي تكمن في وعي الدازاين لوجوده الزماني- يجب أن نفهم كينونة الدازاين ،الأمر الذي يقودنا إلى معاودة البحث داخل مشارب تحليلية الدازاين لكن من جهة زمانيّتها.

تكشف ظاهرة "الهم" sorge عن التحليل الهيدغري للزمانية بوصفها الظاهرة المركزية التي تفرض نفسها على الوجود الدازايني ،و لما كانت الزمانية –بما هي معنى "الهم"- نقطة الانطلاق الأساسية لفهم زمانية الدازاين ،فإن "الهم" حسب هيدغر : ((يجمع بين التواجد والوجود الفعلي ،و السقوط بحيث يرتبط التواجد "بالمشروع" الذي فيه تُلقي الآنية بنفسها

على إمكانياتها التي لم تتحقق بعد،و ليس هذا إلا نوعاً من "تزمّن" المستقبل والوجود بالفعل،أي كون الآنية ملقى بها هناك...على أساس الانقضاء الذي يمكن الآنية من أن توجد(أو تتواجد) بوصفها الموجود الملقى به...أما السقوط...فليس سوى الضياع فيما هو "حاضر" ، أي فيما وصفناه بالوجود-بالقرب-من.))[21]

إن الزمانية عند هيدغر هي المعنى الأصيل للهم الذي يجب على كل تحليل الوصول إليه،وفي هذه النقطة بالذات يصل كتابه"الكينونة و الزمان" إلى ذروته، و منه وجب الغوص أكثر داخل البنية الزمانية للخصائص الوجودانية من أجل تحديد الاختلاف الكامن بين زمانية أصيلة من شأنها أن تعبّر عن الوجود الأصيل،و بين زمانية غير أصيلة تكشف عن الوجود الزائف.غير أن مثل هذا الهدف لا يكتمل إلا بالعودة إلى التفكير داخل "زمانية الفهم" و"زمانية التأثر الوجداني" و"زمانية السقوط"،يقول هيدغر: ((يجب على التأويل الزماني للدازاين اليومي أن يستند في البداية إلى البنى التي في نطاقها يتشكّل الانفتاح،وهي:الفهم و الوجدان والانحطاط و الكلام،و إن ضروب تزمّن الزمانيّة التي علينا أن نرفع النقاب عنها بالنظر إلى هذه الظواهر إنّما شأنها أن تمدّنا بالأرضية اللازمة لتعيين زمانيّة الكينونة-في-العالم.))[22]

يُمثل "الفهم"- عند هيدغر- الطريق الكاشف عن إمكانيات وجود الدازاين-في-العالم ذلك ((أن الموجود الذي نطلق عليه اسم "الإنسان" يتميّز من بين جميع الموجودات بأنه يعيش في حال من "الفهم للوجود"،ففي سلوكه و جميع مواقفه مع غيره من الموجودات إدراك لما يجعل هذه الموجودات موجودة،أي وجودها ،و في اللغة التي يستخدمها يقوم "فعل الكينونة" إما على نحو صريح أو على نحو مضمر ضمني.))[23] و بذلك يكون الفهم هو سمة وجودية تحفظ وجودها داخل أبعاد الزمان الثلاث، بحيث

تكون الأولـويـة للمستقبـل على الحاضـر و الماضي ،و يكـون المستقبـل هـو لحظـة تزمّـن الدازايـن،ويكون الحاضـر انبثاقـاً من المستقبـل: ((و مثلمـا ينبثـق الحاضـر في وحـدة تزمّـن الزمانيّـة من المستقبـل و ما كان كذلـك فـإن الحاضـر يـزمّـن نفسـه بأصالـة مماثلـة مع أفـق المستقبـل و ما كـان.))[24] هنـا ينفتـح الحاضـر داخـل إضـاءة "الهنـا"،و أن يكـون الدازايـن حاضـراً يعـني أن الدازايـن ينفتـح على المستقبـل.لكـن انفتـاح الدازايـن على المستقبـل يفتـرض مسبقـاً **وجـود اللحظة**،أي **حضـور** الدازايـن في الآن،وبالتالي فإن الحضـور ليـس مجـرّد"مستقبـل انقضى"،و إنما انبثاقـاً بذاتـه، أي إن ما يميّـز الحاضـر عن المستقبـل هو "اللحظـة" التي تصـون الحاضـر في المستقبـل و في الـ"ماكـان"،يقـول هيدغـر: ((إن الحاضـر المحفـوظ في الزمانيّـة الأصيلـة،والذي صـار بذلك حاضـراً أصيلاً هو ما نسميه اللحظة.))[25] و هـو في هذا يتفق مع نيتشـه الذي يكون الحاضر عنده متمثلا في اللحظة.حيث يتعيّن الدازاين بوصفـه حاضـراً أصيلاً من خلال "اللحظة"،و أن يكـون حاضـراً معنـاه أنّـه يتوقّـع ما سيـأتي ،بـل إن الآنيـة تنتظـر وقـوع ما توقعتـه سلفـاً ،و بذلـك يكـون ((الانتظـار ضـرب من المستقبـل الذي يجد أساسـه في التوقّـع ،مستقبـل يتزمّـن في أصالتـه الخاصـة بوصفـه استباقـاً (das vorlaufen))[26] يقول هيدغـر.

إن التمييـز بين مستقبـل أصيـل و آخـر غيـر أصيـل يـقودنـا إلى التمييـز بين حاضـر أصيـل(يتمثل في اللحظة) و آخـر غيـر أصيـل يتمثّـل أسـاسـاً في الاستحضـار، يقول هيدغـر: ((على خـلاف اللحظـة بمـا هي حاضـر أصيـل،نحن نسمّي الحاضـر غير الأصيـل الاستحضـار...ولكـن من جهـة أن الفهم غيـر الأصيـل يستشـرفُ مستطاع كينـونتـه انطلاقـاً مما يمكـن أن يشغلـه،فذلك يعني أنّـه يتزمّـن انطلاقـاً من الاستحضـار،أما اللحظـة فهي تتزمّـن على العكـس من ذلك انطلاقـاً من المستقبـل الأصيـل.))[27] و بذلك يمكـن التمييـز أيضـا بيـن مـاضي أصيـل ،أي ما كان بـوصفـه معـاودة ،و مـاضي غيـر أصيـل ،أي نسيـان

،و هو ما يجعل التذكّر أمراً ممكناً،يقول هيدغر مبيّناً ذلك : ((نحن نسمّي كينونة-الكانية الأصيلة معاودة.إن الاستشراف غير الأصيل لأنفسنا على الإمكانات المستمدة من الأمر الذي يشغلنا من خلال استحضاره هو على ذلك ليس ممكناً إلا من جهة أن الدازاين قد نسي نفسه...وكما أن الانتظار ليس ممكناً إلا على أساس التوقّع كذلك التذكّر لا يكون إلا على أساس النسيان.))[28] و هو من خلال هذا التمييز إنّما يريد أن يبيّن أن الزمانية لا تتحرّك من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل ،و إنما يكون المستقبل هو بداية التعاقب الزمني.

لا ينكشف الدازاين بوصفه فهماً إلا في "الوجدان" الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحالة الوجدانية التي انقضت و أصبحت ماضياً ،و هو ما يكشف بدوره عن العنصر الثاني المكوّن للزمانية بما هي "هم" ،حيث يدرك الدازاين في غمرة وجوده المُلقى به أنه يتأثّر وجدانياً،يقول هيدغر: ((إن الكينونة الملقى بها إنّما تعني على الصعيد الوجوداني:أن نجد أنفسنا على هذه الحال أو تلك بذلك فإن الوجدان يتأسّس في صلب الكينونة-الملقى-بها.))[29] من هنا،يكشف هيدغر عن تأثرين وجدانيين هما:"الخوف" و "القلق"،وبموجبهما يعلن الدازاين عن وجوده بما هو وجود –نحو- الموت ،و هو ما يدل على تناهيه الذي يكشف عن معاناته الوجودية داخل عالم متشتّت.لكن هيدغر حين تعرض لوجدانيتي "الخوف و القلق" إنما أراد أن يبيّن الاختلاف الكامن بين الانقضاء الأصيل و الانقضاء غير الأصيل،و منه التفكّر داخل المعنى الوجوداني لزمانية الخوف بما هي توقّع ، و التي تعني معاودة التفكير من حيث هو وجود منقضى (الخوف غير الأصيل)،يقول هيدغر:((إنّ من شأن توقّع ما أن ينتمي مع ما سبق إلى القوام الزمانيّ والوجوداني للخوف،لكن ذلك لا يعني بديّا سوى أن زمانيّة الخوف غير أصيلة.))[30]

يصل هيدغر إلى القول أن "القلق" يظهر من خلال "التصميم"الذي يعبّر عن إمكانية تخلص الدازاين من شتاته و ضياعه في عالم "الهم"،ومنه يكون ((التصميم أو الوجود الذاتي للآنية-هو الذي- يحررها لعالمها و لإمكان وجودها ووجود الآخرين المشتركين معها وجوداً حقيقياً استناداً إلى أن الوجود المصمّم يكشف عن البنية الأساسية للآنية من حيث هي وجود -في- العالم.))[31] من هنا ،و من خلال تحليل هيدغر لزمانيّة الفهم التي تنطلق من المستقبل ،و زمانيّة التأثر الوجداني التي تعود إلى ما كان و انقضى ،تأتي زمانيّة السقوط التي تنطلق من الحاضر ،و فيها يعود هيدغر إلى مقولات العالم اليوميّة التي تتجلى أساساً في الفضول(die Neugier)الذي يعبّر بدوره عن لحظة الانشغال(die Besorgnis) بإمكانيات العالم ،و منه هروب الدازاين و انفلاته من الحاضر المنفتح على المستقبل و ما كان إلى قدره المحتوم الذي يسير به نحو الموت، يقول هيدغر: ((إن أصل "فرار" الحاضر بمعنى الانحطاط(das Verfallen) في الضياع هو الزمانيّة الأصليّة الأصيلة ذاتها التي هي ما يجعل الكينونة الملقى بها نحو الموت ممكنة.))[32] لكن السؤال الذي يمكن طرحه في هذا المقام:كيف نفسّر توجّه "اليوميّة" عند هيدغر نحو استجلاء الوجود من ناحية الزمانية؟وهو ما يتيح لهيدغر من الكشف عن هدفه الأسمى الذي يجعل من إمكانية استباق الدازاين لموته حاضرة كتزمّن، تزمّنًا يجعل الموجود ذاته مصمّماً على استباق وجوده بما هو مشروع –نحو-الموت، فالموت وحده يستطيع أن يضيء للموجود عالمه ،هذا العالم الذي يكون مسرحاً كاشفاً للعبة الوجود مع الموجود ،و بعبارة هيدغر :((إن اللعب الذي يأخذنا نحن البشر الذين لا نكون بشراً إلا بقدر ما نحاذي الموت ،الموت الذي يستطيع كونه إمكانية الوجود العظمى أن يضيء الوجود و حقيقة الوجود كما لا يضيئه أي شيء غيره،الموت هو هبة تظل خارج نطاق الفكر.))[33]

4.التزمّن وتناهي الزمان:

إن مقذوفية الدازاين داخل عالم "الهم" أو عالم الناس تكشف في النهاية عن تزمّن الدازاين كلاما،و حتى نتكلّم يجب أن نسمع كلامنا الذي نحن بصدد قوله ،كما يتطلب إنصاتاً لما يُقال أو ما نقوله. و يسمّي هيدغر هذه العملية الكلامية بـ" ***القولة*** " ،يقول : ((قول "القولة "يتوجه إلى الإنسان،الذي لا يوجد إلا من حيث أنه يُنصت إلى القولة ،و أن ننصت إلى قولة اللغة يعني أن نترك قولتها تُقال لنا.إننا لا نستطيع أن نتكلّم انطلاقاً من اللغة ،إلا لأننا سبق أن أنصتنا إليها.))[34] وهذا ما يكشف بدوره عن الدازاين من حيث أنه لا يستطيع الإصغاء والتكلّم في وقت واحد ،بل إن أحدهما يسبق الآخر،و عندما نصغي للقولة فإننا نكون على استعداد لفهم ما يُقال .و منه ((فإننا نسمع تكلّم اللغة-الذي هو- قول القولة كبيان.تكلّم اللغة هو انفراج الكون و انكشافه.))[35] و بموجب ذلك،يُفرّق هيدغر بين "المتكلّم" الذي يتكلّم ،و"التكلُّم" من حيث هو الكاشف عن اللغة ،و"الكلام" من حيث هو واقعة تنبثق عن المتكلّم و التكلّم.هذا الأخير (التكلّم) الذي يكشف بدوره عن قدرة الدازاين على "ترك" الموجود يقول قولته،يقول هيدغر: ((إذا كان التكلّم كإنصات إلى اللغة ،يترك القولة تُقال له،فإن هذا الترك لا يمكن أن يتم إلا بقدر ما تكون ماهيتنا قائمة داخل القولة،إننا لا نسمعها إلا لأننا ننتمي إليها...و في القولة يحدث ذلك المنح،لأنه يجعلنا نبلغ القدرة على التكلّم.إن الأساسي"das wesende" في اللغة يكمن إذن في القولة المانحة.))[36] حيث تختص هذه القولة بالدازاين الموجود –قرب- الأشياء -في-العالم دون غيره من الموجودات،هذه الخاصية هي التي تُمكن الدازاين من معرفة ماهية الموجودات المحيطة به في العالم.

يتمفصل الكلام(die Rede) –من جهة الزمانية- بوصفه شكلا من أشكال انفتاح الدازاين، ففي الفقرة (68) يتطرق هيدغر إلى ما يسميه بـ"زمانيّة

الخطاب"التي تتضمّن بدورها انفتاحاً على "زمانيّة الفهم" ،و "زمانيّة الوجدان" ،و"زمانيّة السقوط" الكاشفة عن اختراق اللغة (في شكل كلام) للدازاين – المقذوف به وسط الناس و الآخرين- تزمّنناً ،يقول هيدغر: ((في الحقيقة إن اللغة هي من يتكلّم و ليس الإنسان،إن الإنسان لا يتكلّم إلا بقدر ما يكون مناسبة لكلام اللغة.))[37] و الكلام من حيث هو كذلك يكشف عن إقامة الدازاين بالقرب من الوجود –في-العالم ،و هي إقامة بموجبها يتحوّل السؤال عن الشيء إلى بنية لغوية-زمانية تطال المعنى،بحيث لم يعُد يُفهم "الكلام" على أنّه وسيلة و أداة للتعبير عن مكنونات الدازاين و تخارجه،بل((إن الكلام هو في ذات نفسه زماني،من جهة أن كل كلام على..عن..ونحو..إنما يتأسس في نطاق الوحدة الوجدية للزمانيّة)).[38] و هو ما يكشف بدوره عن بنية خطابية تتعلق أساسا بالكلام المتكلَّم بوصفه أفقاً لتزمّن الدازاين ،يسمّيها هيدغر بـ"النداء" ((و لا يعني سماع النداء بالنسبة للدازاين إلا فهم الضرورة الوجودية للاختيار الخاضع للآمرة الوحيدة،وهي أن "يختار نفسه" في كل الحالات.))[39] كما يقول ميشال هار.من هنا،يكشف الدازاين من حيث أنه يختار نفسه،عن المسكوت عنه ،الذي غيّبته الميتافيزيقا الغربية.

تتحدّد الزمانية بموجب ذلك كتزمّن،تزمّناً يُعنى باستباق الدازاين لوجوده بوصفه وجودا-سائرا-نحو-النهاية أو الموت،فالموت من حيث هو إمكانية وجودية لازمة عن كل وجود للموجود ،هو ما سيفصح عن فكرة التناهي ،لكن لا يجب أن نفهم التناهي على أنه الانقطاع النهائي للوجود في العالم و إنما هو كشف لتزمّن الدازاين داخل العالم ،وبقدر ما ينكشف الزمان على أنه تناهي،يتجه الدازاين إلى مستقبله الأصيل غير متناه الذي هو ذاته ،يقول هيدغر: ((إنه فقط من أجل أن الزمان الأصيل متناه،إنما يمكن للزمان"المشتّق"أن يتزمّن بوصفه غير-متناه))[40] و مادام الدازاين هو زمانه من

حيث المستقبل،فإنه يسبق موته،ومن أجل أنه لا يستطيع أن يستحضر مستقبله/زمانه أمامه،فإنه يبقى منشغلا عنه من خلال الحاضر والماضي.

خاتمة:

يتحرك سؤال الزمان -على إثر تحليلنا السابق- نحو "مساءلة" الأفق الممكن لفهم كينونة الوجود في علاقته بالزمان، بل إن الرهان الأكبر الذي يجب على كل بحث الانعطاف نحوه، يتعلق حسب هيدغر بضرورة التساؤل البنّاء عن معنى الوجود في علاقته بكينونة الدازاين وتزمّن الزمانية الخاصة بالدازاين نفسه.و من أجل ذلك اتخذ هيدغر من سؤال الوجود مهمازا يَعبُر من خلاله إلى سؤاله عن الزمان،حيث تتزاحم في أفقه الإمكانات الماهوية الحاضرة لتُعيّن ما من شأنه أن يُحقق الإمكانية النافذة التي ستكون حقيقة ماثلة أمام الوجود،و هذا ليس معناه أن تلك الإمكانية المُحققة خارجة عن الزمان،بل مندمجة فيه،ملتحمة مع آناته،و هي في حالة "ديمومة".و في خضم تحليلات هيدغر الأنطولوجية يصل إلى " زمانية الخطاب" التي بموجبها يخترق الدازاين عالم الوجود و يتزمّن من خلال واقعة الكلام ،ما جعل مقولة اللغة ترتبط بزمانية الكلام، و يتحوّل بذلك البحث من الوجود إلى الزمان و منه إلى زمانية اللغة التي تكشف بدورها على تزمّن الدازاين و انفتاحه على العالم الوجودي كلاما.وعليه فإن بؤرة التحول -التي قادت هيدغر إلى السؤال عن: من هو الزمان؟ بدل السؤال الميتافيزيقي:ما هو الزمان؟- تتعلق بالكيفية الوجودية التي بموجبها يوجد الدازاين على النحو الذي هو عليه دون آخر،فتزمّن الدازاين مرتبط بوجوده الذي يكمن في زمانه/مستقبله، وبين هذا و ذاك تبقى "مقولة" هيدغر تتحرّك في كل مرة نحو كشف الطريق للسؤال عن المستقبل الذي يخص الدازاين المتجّه نحو نهايته الأصيلة .

الهوامش :

(*)-يُلح هيدغر على ضرورة التمييز بين الكون كما فكرته الميتافيزيقا التي تغاضت عن الاختلاف بين الكون والكائن و الكون كما يفكره هو (هيدغر)،ولأجل ذلك كان يستعمل أحيانا لفظ die Seiendheit الكائنية للتعبير عن الكون كما تفكره الميتافيزيقا في مقابل الكون ككون،كما كان يستعمل أحيانا صيغة إسم الكون في الألمانية القديمة"das Seyn" للتعبير عن الكون كما يفكره هو ،و يبدو أنه لجأ-في النهاية- إلى أسم الخصوصية" das Ereignis"ليتخلّص من وطأة مفهوم الكون و شحنته الميتافيزيقية.أنظر:مارتن هيدغر،كتابات أساسية ج2، تر،اسماعيل المصدق،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2002،ص251و ما يليها

(**)لا يجب أن نفهم التقويض على أنه أمر سلبي ،فهو لا يعني الانقطاع النهائي مع ماضي الفلسفة بقدر ما يعني "تصفية" ما جاء به التراث و غربلته يقول غادامير في هذا النطاق: ((إن المسألة ليست مسألة إحكام أو صيانة أنفسنا بمقابل التراث الذي يعبّر عن نفسه من خلال النصوص،بل هي على العكس مسألة استبعاد أي شيء يمكن أن يمنعنا من فهم التراث بمقتضى موضوعه)) أنظر: غادامير ،الحقيقة و المنهج،الخطوط ا أساسية لتأويلية فلسفية،دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع،طرابلس،ط2007،1، ص 373

1- M. Heidegger, Kant et le problème de l métaphysique, tr, W.Bimel et A.Waelhens, Gallimard, 1964, p207

2.محمد محجوب ،هيدغر و مشكل الميتافيزيقا ،دار الجنوب للنشر،تونس،ط2 ،1996،صص 110-111.

3.Aristote, Physique4, tr Dayan, textes choisis, PUE, 1966, p 224

4.جان فال ،طريق الفيلسوف،تر،أحمد حمدي محمود،مر،أبو العلاء عفيفي،مؤسسة سجل العرب،القاهرة،1967،ص 154

5-Descartes ,Meditations Metaphysiques, édition aouidat,beyrouth,1961,p90

6.محمد محجوب ،هيدغر و مشكل الميتافيزيقا ،مرجع سابق،ص 122.

7.فرانسوا داستور،هيدغروالسؤال عن الزمان،تر،سامي أدهم،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،ط1،1993،ص 19

8.عمانوئيل كانط ،نقد العقل المحض ،تر،موسى وهبة ،مركز الإنماء القومي ،لبنان ،د.ط ،د.ت ،ص 64.

9.المرجع نفسه،ص .66

10.المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

11.M. Heidegger, Kant et le problème de la métaphysique, tr, W. Bimel et A. Waelhens, p254.

12.هانز جورج غادامير،طرق هيدغر،تر،حسن ناظم و علي حاكم صالح،دار الكتاب الجديدة المتحدة،طرابلس،2007،ص 147.

(***)يرمي هيدغر من خلال تطرقه للتاريخانيّة Geschichtlichkeit إلى تبيان الاختلاف بين التاريخ كمفهوم عام يهتم بسرد الأحداث و الوقائع الحاصلة في الماضي ،و بين الواقع التاريخي المرتبط بالدازاين ،و هو من أجل ذلك ينحت ألفاظاً خاصة مستوحاة من البيئة الألمانية من

قبيل:Ereignis(العهد/الحدث)،Geschlecht(الجنس،العرق،المجتمع،السلالة)...الخ

13.مارتن هيدغر،الكينونة و الزمان،تر،فتحي المسكيني،مر،اسماعيل المصدق،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت،ط1، 2012،ص648.

14.M.Heidegger, Chemins qui ne mènent nulle part, tr, Wolfgang Brokmeir ,ed ,nrf ,Gallimard ,paris,1962, p42.

15.هيجل ،فينومينولوجيا الرّوح،ترجمة و تقديم:ناجي العونلّي ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط1 ، 2006 ،ص 140.

16.مارتن هيدغر،الكينونة و الزمان،تر،فتحي المسكيني،مصدر سابق،ص 736.

(****)يربط هيجل اللاتساوي بالسلبي و التساوي بالتفكير،يقول:((أما التساوي الذاتي مع الذات فهو التجريد المحض،لكن هذا التجريد إنّما هو التفكير..لكن هذا التساوي مع الذات إنّما هو كذلك سالبية)) أنظر: هيجل، فينومينولوجيا الرّوح ،مرجع سابق،صص 158-160.

17.هيجل ،مرجع نفسه،ص 143

18.مارتن هيدغر،الكينونة و الزمان ،تر،فتحي المسكيني،مصدر سابق،ص 737.

19.المصدر نفسه،ص 72.

20.مصدر نفسه ،ص 428.

21.مارتن هيدغر، نداء الحقيقة ،تر،عبد الغفار مكاوي،دار الثقافة للطباعة و النشر،القاهرة،1977، ص ص 106-108.

22.مارتن هيدغر، الكينونة و الزمان،تر،فتحي المسكيني،مصدر سابق،ص 582.

23.محمود رجب، الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، القاهرة ،ط2 ،1986 ،ص 68.

24.صفاء عبد السلام جعفر ،الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر،منشأة المعارف،الاسكندرية،ط1 ،2000،ص 182.

25.مارتن هيدغر، الكينونة و الزمان،تر،فتحي المسكيني،مصدر سابق،ص 587.

26.المصدر نفسه،ص 586.

27.المصدر نفسه،ص 588.

28.المصدر نفسه،صص 588-589.

29.المصدر نفسه،ص 590.

30.المصدر نفسه،ص 592.

31.صفاء عبد السلام جعفر،الوجود الحقيقي عند هيدغر،مرجع سابق،ص .373

32.مارتن هيدغر، الكينونة و الزمان،تر،فتحي المسكيني،مصدر سابق،ص 603.

33.مارتن هيدغر، مبدأ العلة ،تر،نظير جاهل،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر،بيروت،1995،ص 124.

34.مارتن هيدغر،كتابات أساسية ج2،تر،اسماعيل المصدق، مصدر سابق،ص249

35. المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

36. المصدر نفسه ،ص 272.

37.Martin Heidegger, Questions III et IV,tr,jean beaufret,françois fédier,édition Gallimard,1976, p 61.

38. مارتن هيدغر،الكينونة و الزمان،تر،فتحي المسكيني،مصدر سابق،ص 604.

39. Michel Haar,Heidegger et l'essence de l'homme,Grenoble,Gérome Million,1990, p51.

40.مارتن هيدغر،الكينونة و الزمان،تر،فتحي المسكيني،مصدر سابق،ص575.

قائمة المصادرو المراجع:

المصادربالفرنسية:

1. M. Heidegger, Kant et le problème de la métaphysique,tr,W.Bimel et A.Waelhens,Gallimard,1964

2. M. Heidegger, Chemins qui ne mènent nulle part,tr,Wolfgang Brokmeir,ed,nrf,Gallimard,paris,1962
3. Martin Heidegger, Questions III et IV,tr,jean beaufret,françois fédier,édition Gallimard,1976

المصادر بالعربية:

1. مارتن هيدغر،الكينونة و الزمان،تر،فتحي المسكيني،مر،اسماعيل المصدق،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت،ط1، 2012
2. مارتن هيدغر، نداء الحقيقة ،تر،عبد الغفار مكاوي،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة،1977
3. مارتن هيدغر، مبدأ العلة ،تر،نظير جاهل،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،1995
4. مارتن هيدغر،كتابات أساسية،تر،اسماعيل المصدق،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2002،ج2.

المراجع بالفرنسية:

1. Michel Haar,Heidegger et l'essence de l'homme,Grenoble,Gérome Million,1990
2. Aristote, Physique4, tr Dayan, textes choisis, PUE, 1966
3. Descartes ,Meditations Metaphysiques, édition aouidat,beyrouth,1961

المراجع بالعربية:

1.محمد محجوب ،هيدغر و مشكل الميتافيزيقا ،دار الجنوب للنشر،تونس،ط2 ،1996
2.جان فال،طريق الفيلسوف،تر،أحمد حمدي محمود و أبو العلاء عفيفي،مؤسسة سجل العرب،القاهرة،1967
3.فرانسوا داستور،هيدغر والسؤال عن الزمان،تر،سامي أدهم،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،ط1993،1
4.عمانوئيل كانط ،نقد العقل المحض ،تر،موسى وهبة ،مركز الانماء القومي ،لبنان ،د.ط ،د.ت
5.هانز جورج غادامير،طرق هيدغر،تر،حسن ناظم و علي حاكم صالح،دار الكتاب الجديدة المتحدة،طرابلس،2007
6.هيجل ،فينومينولوجيا الرّوح،ترجمة و تقديم:ناجي العونلّي ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط1 ، 2006

7.عبد السلام بنعبد العالي،هايدغر ضد هيجل(التراث والاختلاف)،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت،ط2006،2
8.محمود رجب، الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، القاهرة ،ط2 ،1986
9.صفاء عبد السلام جعفر ،الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر،منشأة المعارف،الإسكندرية،ط1 ،2000